الخروج بنتائج طريفة، وتتلخص نظريته فى الإعجاز البيانى للقرآن الكريم فى خطوات ثلاث هى:

١ ـ يعرض الفكرة فى كتابه الثمين عرضًا بسيطا فيثبت صحة ما بين أيدينا من نص القرآن وأنه حقا كتاب الله المنزل على نبيه وأنه آية محمد ـ ﷺ ـ ومعجزته الخالدة.

٢ ـ يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثله برغم تحديه لهم مرارًا.

٣ ـ ينتهى من المقدمات السابقة إلى نتيجة عامة هى خلاصة نظريته فى الإعجاز التى عرضها فى كتبه فى صور مختلفة وهى «خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب ونظومهم»، وإعجاز القرآن فى نظمه وبيانه منصب عنده على القرآن كله كوحدة، وجملة لا تفصيلاً، نصًا كاملاً له ميزاته وصفاته التى تميزه عن أقوال العرب وفنون كلامهم، لهذا نراه يعارض فكرة الإعجاز البلاغى الذى يعرض للتحليل الجزئى للعبارة، والبحث فيها عن ضروب البيان والبديع، ومجاز القول، ثم لا يأخذ بالقول بفصاحة الألفاظ وحدها، يقول: «ليس الإعجاز فى نفس الحروف وإنما هو فى نظمها وإحكام وصفها وليس وصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة ومترتبة فى الوجود وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض».

وتمتاز دراسته فى كتابه (الانتصار) بأنها جاءت ضمن دراسته العامة للقرآن فى تاريخه وقراءاته، ويبدأ الكتاب يبحث كلمة قرآن، ثم ينتقل إلى قضايا متعددة حسبما أوردنا منذ قليل، على أن الفصل الخاص بالدلالة على صحة مفارقة القرآن لكلام العرب هو لب نظريته فى الإعجاز، وليصل إلى تحقيق هذه النظرية يبحث فى كلا جانبيها فيتكلم عن كلام العرب الفنى أو البيان عامة، ثم عن القرآن، وينتهى إلى الخواص التى فى البيان العربى، فى نظمه وتأليفه، ولا تتمثل فى القرآن، والقرآن لهذا خارج عنها.

كما يتناول البيان بطرقه ووسائله، عن البيان بالقلم واللسان وأنه أشرف البيان، ثم يتعرض لتعريفات البلاغة التقليدية بصورة تذكرنا بكلام الجاحظ والرمانى والعسكرى. ثم يحدد معنى البراعة بقوله: فأما وصف الكلام بأنه براعة فمعناه أنه